نشأة فكرة النقود وتطورها
من القرن السابع ق.م حتى القرن السابع الميلادي

الأستاذ المساعد الدكتور
عبد الحكيم غنتاب الكعبي
جامعة الموصل - كلية التربية

الملخص

ظهرت النقود في مرحلة من مراحل التطور الحضاري. وتشير المصادر إلى أن أول تداول للنقود المسكوكة في التاريخ، كان حوالي سنة ٧٠٠ ق.م في مملكة ليديا القديمة التي تقع في غرب آسيا الصغرى، ويبدو أن الليديين أخذوا الفكرة من الآشوريين وحسنوا فيها. أما اليونان فقد كان استعمالهم للعملة المسكوكة متأخرا، وقليل التداول، بالقياس إلى ليديا، وكان ظهورها مقتصرا على المدن الكبرى. وفي إيران القديمة ينسب سك العملة الفضية والذهبية إلى الملك دارا(٥٢٢-٤٨٦ق.م).وفي الدولة الرومانية تطور النظام النقدي تطورا كبيرا، وذلك لتوافر مناجم الذهب في مستعمراتها. أما عرب ما قبل الإسلام، فقد عرفوا المسكوكات منذ وقت مبكر وتعاملوا بالنقود الإغريقية. وبعد قيام الدولة الإسلامية سنة٦٢٢م استمر تداول النقود البيزنطية والساسانية(الدينار والدرهم) ولكن بنقوش وعبارات عربية إسلامية؛ حتى ضربت أول عملة عربية إسلامية مستقلة في سنة ٧٧هـ/٦٩٦م .

The starting of money Concept and its Development from the 7th. Century B.C. Up to the 7th. Century A.C.

Assist. Prof. Dr. Abdul Hakim Gintab Al Kahbi
Basrah University – Basrah and Arabia Gulf studies

Currency appeared in a step of a cultural developmental phase. Resources show **that the first coin deliberation in history was in 700 B.C. in ancient Lydia kingdom to the west of minor Asia. It seems that Lydians took the idea from the Assyrians and developed it. The use of coins in Greek was late and restricted, in compare with Lydia kingdom, only in big cities. The King Dara (522-486 B.C.) was the first one who made the silver and golden coins in ancient Iran. The currency system was highly developed in Romans state due to the existence of gold mines in its colonies. But the pre-Islamic Arab knew and dealt with Greek currency. They continued using the Byzantine and Sassanies currency (Dinar and Dirham) after the establishment of Islamic state in 622 A.D. but with Arabic-Islamic statements and epigraphy; until the first an independent Arabic-Islamic currency was made in 696 A.D. (77 A.H.).**

المقدمـــة :

أطلق على النقود في اللغة العربية أكثر من اسم، فهي العملة ،والسكة ، والنميات ،والنقود. والعملة آتية من لفظ: عمل، والعمولة ،والعمالة أجر ما عمل، قالت امرأة من العرب : ("ما كان لي عملة إلا فسادكم") أي ما كان لي عمل. وقال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لابن السعدي (’خذ ما أعطيت، فأني عملت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعملني، أي أعطاني عمالتي وأجرة عملي’). وعملت الرجل أعامله معاملة، والمعاملة في كلام أهل العراق هي المساقاة في كلام أهل الحجاز . ويقال رجل خبيث العملة إذا كان خبيث الكسب، وعملة الرجل باطنته في الشر خاصة، وكله من العمل[١]. أما كلمة السكة فقد حملت عدة معان مختلفة، منها ما ذكره ابن منظور في لسان العرب بقوله : السكة حديدة قد كتب عليها، تضرب على الدراهم وهي منقوشة[٢] وقال الماوردي : هي الحديدة التي تطبع عليها الدراهم ، لذلك سميت الدراهم المضروبة (أي المنقوش عليها) سكة.[٣] والسكة عند ابن خلدون هي: الختم على الدنانير، والدراهم المتعامل بها بين الناس، بطابع حديد، فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة، بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى.[٤] ، وفي معان أخرى يقصد بالسكة العملة المتداولة بين الناس من دنانير ودراهم وفلوس،أو هي النقوش التي تزين هذه العملة من صور، أو كتابات، أو هي الحديدة أو القالب المتخذ لإحداث هذه النقوش عليها، وأيضا تطلق على وظيفة القائم بسك النقود، والمكان الذي تضرب فيه[٥]، كما يطلق لفظ المسكوكات على جميع النقود التي تعاملت بها شعوب الدولة العربية الإسلامية. وعن النميات قال أبن منظور(النمي) فلوس الرصاص،أصله الرصاص، جعله في العيب بمنزلة الرصاص في الفضة، و النمي: الصنجة ومفردها نمية، وهو أيضا الدرهم الذي فيه رصاص أو نحاس[٦]، ويسمى العلم الذي يبحث في النقود من الناحية التاريخية الأثرية(علم النميات)، وهو

يختص بالعملة، وفروعها وصلاتها بالفن، والتاريخ والاقتصاد[٧]. وكلمة نمي مشتق من اليونانية Nomos واللاتينية Nummus التي تعني الفضة المضروبة أو النقد.

أما كلمة النقود ـ وهي التسمية الأكثر تداولا ـ فهي في اللغة لها معنى خاص بها، وهو كالآتي:

النقد ـ في البيع ـ : خلاف النسيئة، و' نقد ' = جيد لا زيف فيه، وجمعه نقود .والنقد فن تمييز جيد الكلام من رديئه، وصحيحه من فاسده[٨].ونتيجة لهذا التداخل في المعنى يفضل الاقتصاديون استخدام كلمة النقود بدلا من النقد. أما تعريف النقود كمصطلح عند جمهور الكتاب المعاصرين فهي:أي شيء يتمتع بقبول عام كوسيط للمبادلة ويضطلع في الوقت نفسه بوظيفة وحدة الحساب[٩] أو هي :أي شيء يتمتع بقبول عام في الوفاء بالالتزامات[١٠].

نشأة فكرة النقود :

من البديهي القول أنه لم يكن هناك(مخترع) للعملة أو النقود، وإنما كان ظهورها عبر تطور القوى الإنتاجية، ونتيجة النمو المستمر لإنتاج السلع. وسرعان ما أصبح باستطاعة الدولة حماية وضمانه نقاوة المعدن وذلك برسم بعض الصور التي لها علاقة بالدولة عليه، وهذا يعد بداية لظهور فكرة النقود.[١١]

لقد ظهرت النقود في مرحلة من مراحل التطور الحضاري، لتؤدي وظائف معلومة تخدم الإنسان وتنظم نشاطه الاقتصادي ،إذ كانت الماشية قبل ذلك تستخدم بدل النقود. ولم تعرف العملة لدى الشعوب لاسيما تلك التي تعتمد على تربية المواشي . ثم استعملت النقود المعدنية بعد ذلك وأخذت تحل تدريجيا محل الأشكال السلعية الصرفة[١٢]. وكانت بلاد الرافدين هي الأولى في اتخاذ المعدن وسيلة للمبادلة، وقد ورد ذلك في بعض المواد التي تضمنتها شريعة الملك السومري أور ـ نمو ، مؤسس سلالة أور الثالثة(٢١١١ ـ٢٠٠٣ ق.م) ،حيث اتخذت الفضة وسيلة للمبادلة والمعاملات لأول مرة في التاريخ[١٣]، ثم استعملت في العصر البابلي

القديم[١٤]، وكانت النقود في عرفهم عبارة عن سبائك من المعدن الثمين. وأول معدن استعمل للتعامل هو الفضة ـ كما اشرنا ـ، في حين استعمل النحاس والحديد وغيرهما من المعادن الرخيصة في مجال المعاملات الضيقة. وكانت العملة تأخذ هيئة صفائح صغيرة ، أو حلقات ،أو أقراص مثقوبة ذات أوزان معلومة[١٥]، إلا أنها كانت خالية من التصوير[١٦]. وقد أوجد البابليون القدماء طريقة خاصة في الاختبار المستمر لنقاوة المعدن حيث وجدت أعداد كبيرة من الحيوانات المختلفة، يأتي في مقدمتها شكل البط، التي تمثل قيمة الأوزان المختلفة السائدة آنذاك.[١٧].كما كانت وحدة الوزن في بابل هي حبوب الحنطة التي تعد وحدة مضمونة إلى حد كبير، إذ نادرا ما يتغير وزنها[١٨]. وفي المصادر القديمة إشارة إلى أن الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٥-٦٨١ ق.م) استعمل قطعا معدنية ذات أوزان معلومة تسمى (رؤوس عشتار) والتي تعد الأصل الحقيقي لفكرة النقود[١٩].

أما في مصر القديمة، فيرجع استعمال السبائك الذهبية الصغيرة كعملة إلى عصر المملكة القديمة والوسطى،[٢٠] وفي عصر الفرعون ميناس (نرمر) استخدمت السبائك الذهبية المنحنية نقودا للتداول،وكانت الواحدة منها تزن حوالي ١٤ غراما، وعليها اسم الملك[٢١] .

بمرور الزمن، وجد أنه من غير العملي استخدام المعادن وسيلة للتبادل التجاري، لما يتطلبه ذلك من فحص مستمر للنقاوة، واختبار للوزن في الطرق التجارية، الأمر الذي أدى إلى عرقلة النشاط التجاري، فأصبح ـ في مرحلة معينة من التطور الاقتصادي ـ مولد النقود أمرا تاريخيا حتميا[٢٢].

يرجع استعمال النقود المسكوكة ـ لأول مرة في التاريخ ـ إلى حوالي سنة ٧٠٠ ق.م في مملكة ليديا القديمة التي تقع في غرب آسيا الصغرى[٢٣](بالقرب من أزمير في تركيا حاليا)، ويبدو أن الليديين أخذوا الفكرة الآشورية ـ رؤوس عشتار التي أشرنا إليها ـ وحسنوا فيها [٢٤]، فقد ذكر المؤرخ اليوناني هيرودوت (٤٨٤ -٤٢٥ ق. م) ' بأن أهل ليديا من بين الناس الأوائل

الذين نعرف عنهم ، كانت عندهم مسكوكات من الذهب والفضة عليها رسوم معينة، [٢٥].
وهناك رواية تقول: إن الذي شجع أهل ليديا على سك العملة هو أن أنهار ليديا ومنها نهر (باكتوس) الذي يمر بالعاصمة (سارس) يجري فيه طبيعيا معدن مزيج من الذهب والفضة، بنسبة ٨٠% من الذهب ،و ٢٠% من الفضة ، ومن هذا المعدن الثمين سكوا أول نقودهم.[٢٦] وكانت النقود تضرب عندهم من الذهب الخفيف المسمى (إيلكتروم). وهو خليط طبيعي من الذهب والفضة، فضلا عن استخدام الفضة والنحاس والبرونز، وكانت قطعة النقود على شكل حبة الفاصوليا ومدموغة من جانب واحد فقط.[٢٧]

أما اليونان فقد كان استعمالهم للعملة المسكوكة متأخرا، وقليل التداول، بالقياس إلى ليديا وكان ظهورها مقتصرا - أول الأمر - على المدن الكبرى مثل إيجنا وكورنث وأثينا، وبعد مدة من الزمن أضحى لكل مدينة يونانية كبيرة عملة خاصة بها متداولة داخل حدود تلك المدينة.إما العملة المسكوكة في مدينتي أثينا وكورنث فقد كانت هي فقط المتداولة في الأسواق الخارجية[٢٨] .

لقد شهدت نقوش المسكوكات اليونانية تطورا ملحوظا من الناحية الفنية، متأثرة بتطور الفن اليوناني، فنقش على تلك المسكوكات رسوم واضحة لبعض الحيوانات مثل الأسد والثور[٢٩]،وكان طراز أثينا، الذي بدأ تداوله في حدود سنة ٥٧٥ ق.م تقريبا، يحمل في وجه المسكوكة رأس المعبودة " أثينا " وهي ترتدي خوذة مزينة من الأمام بغصن زيتون، تتدلى منه ثلاث ورقات، وقد ربط شعر أثينا بعصابة. أما الظهر فنقش عليه رسم لبومة تتجه إلى اليمين وخلفها غصن زيتون.[٣٠] كما نقش عليها أحيانا اسم الملك الذي ضربت في زمنه تلك النقود.وبعد أن غزا الإسكندر الكبير الشرق ،أصبح الطراز اليوناني في سك النقود شائعا في عموم بلدان المشرق ابتداء من آسيا الصغرى حتى بلاد التركستان[٣١].

وفي إيران القديمة { الإخمينية } ينسب سك العملة الفضية والذهبية إلى الملك دارا (٥٢٢ ـ ٤٨٦ ق.م).حيث سكّها من الفضة والذهب وسمّاها(الدراريق)، ويبدو أن ملوك إيران القدماء هم أول من نقشوا صورهم على العملة، بشكل رماة السهام،حيث يظهر الملك على قفا العملة جاثيا على ركبتيه وممسكا بقوسه.[٣٢]

وفي الدولة الرومانية تطور النظام النقدي تطورا كبيرا، وذلك لتوافر مناجم الذهب في مستعمراتها، ففي النصف الأول من القرن الثاني ق.م ظهر الدينار عملة رئيسة لها[٣٣].وضرب حكام إيران الفرثيون 'البرثيون' (١٤٧ ق – م /٢٢٤ م)، عملة من الذهب والفضة في عصر الملك فولفاش الأول (٥١ ـ ٥٥ م) وهي تحمل الحروف البهلوية ـ الفرثية الهجائية. وأن هذه العملة الفرثية أصبح لها أثر كبير على طراز العملة المسكوكة في عصر الساسانيين (٢٢٤ ـ٦٣٧ م) الذين حكموا إيران من بعدهم واستمرت دولتهم حتى الفتح العربي الإسلامي للعراق وفارس،إلا أن ما كان يميز الدراهم الفرثية أنها كانت صغيرة وسميكة، بينما كانت المسكوكات الساسانية كبيرة ورقيقة[٣٤].

المسكوكات العربية قبل الإسلام:

أما عرب ما قبل الإسلام ، فإن موقعهم المتوسط في قلب العالم القديم، قد أتاح لهم الاتصال التجاري والحضاري بالبلدان المجاورة، فعرفوا المسكوكات منذ وقت مبكر(أواخر القرن الخامس قبل الميلاد) تقريبا، وتعاملوا بالنقود الإغريقية أولا ، ثم أصبحت لهم نقودهم الخاصة مع مطلع القرن الرابع قبل الميلاد[٣٥] ولكنها مسكوكات مقلدة للطراز الإغريقي[٣٦]. ففي أقصى الجنوب الغربي لشبه جزيرة العرب، تعد مملكة قتبان في اليمن من أولى الممالك العربية التي قامت بإصدار تلك المسكوكات في القرن الرابع قبل الميلاد، وكانت عملتها تقليدا" لمسكوكات الإغريق ـ كما أشرنا ـ ولكن أضيف إليها بعض الحروف بالخط المسند لتحديد القيمة النقدية للمسكوكة، ونقش عليها ـ أحيانا ـ من جهة الظهر شعار الملك القتباني[٣٧] .كما ضرب

السبأيون في اليمن أيضا نقودا لهم من الذهب والفضة والنحاس و نجد على أحد وجهي عملتهم صورة الملك، وعلى الوجه الآخر أشكالا مختلفة تمثل بوما أو رؤوس ثيران، أو غير ذلك.[٣٨] وصدرت مسكوكات مماثلة في مدن وممالك يمنية أخرى جميعها متأثرة هي الأخرى إلى حد كبير بمسكوكات الإغريق، مثل مملكة معين التي قامت في منطقة الجوف بين نجران وحضرموت، في القرن السابع قبل الميلاد، واستمرت حتى أواخر القرن الأول قبل الميلاد[٣٩]، والتي تأثرت مسكوكاتها بنمط مسكوكات الإسكندر المقدوني. وكذلك مملكة حمير التي وصلتنا منها مسكوكات مهمة، يرجع أقدمها إلى سنة ١١٠ ق.م وهي متأثرة بالمسكوكات القتبانية، كما أصدرت مسكوكات أخرى مقلدة لمسكوكات الإمبراطور الروماني أغسطس. وكذلك الحال فيما يخص مملكة حضرموت، التي كانت مسكوكاتها هي الأخرى، مقلدة لمسكوكات الإغريق.[٤٠]

وفي شمال شبه جزيرة العرب، ضربت كل من دولة الأنباط ودولة تدمر التجاريتين وكذلك دولة الغساسنة، مسكوكات خاصة بكل منها[٤١] ، فكانت مسكوكات مملكة الأنباط (جنوب بلاد الشام) مشابهة إلى حد كبير لمسكوكات البطالمة، أي على الطراز نفسه، وأول من سك العملة في هذه الدولة الملك الحارث الثاني(١٢٠ -٩٦ ق.م)، وكان منقوش عليها رأس رجل بوضع جانبي نحو اليمين (ربما كان الحارث نفسه)،أما الوجه الآخر فكان يحمل صورة امرأة، فضلا عن اسم الحارث بحروف يونانية.[٤٢] كما وصلتنا مسكوكات من عصر الملك الحارث الثالث (٨٥ ـ ٦٢ ق.م)، ثم الملك عبادة الثاني (٦٢ ـ ٤٧ ق.م) الذي أصدر مسكوكات من الفضة، نقش عليها صورة لرأس رجل، وعلى وجهها الآخر صورة لطائر النسر وكتابة نبطية نصها، ' عبادة ملك الأنباط ' وتاريخ الضرب ، وهو السنة الثالثة من حكمه.[٤٣].

يتبين لنا من هذا العرض المقتضب عن مسكوكات الممالك العربية قبل الإسلام، أن العرب عرفوا النقود وتداولوها منذ وقت مبكر، ربما يرجع إلى القرن الرابع قبل الميلاد، ويبدو أنها كانت مسكوكات محلية في الغالب، يقتصر تداولها داخل المملكة التي قامت بإصدارها، باستثناء

بعض المسكوكات اليمنية في دولتي سبأ وحمير، وكذلك بعض مسكوكات دولة الأنباط التي تم تداولها خارج تلك الدول، أي مع الأقاليم المجاورة. إلا أن أفول نجم هذه الدول ، وظهور قوى سياسية واقتصادية كبرى، مع ضمور النشاط التجاري للعرب ، أدى إلى تراجع إمكانية سك نقود جديدة خاصة بهم، فتعاملوا تجاريا بمسكوكات الدولتين الكبيرتين آنذاك[الساسانية والبيزنطية]، حتى ظهور الإسلام مطلع القرن السابع الميلادي[٤٤].أما بلاد الحجاز فلم يعثر المختصون حتى الآن على أية مسكوكات خاصة بها[٤٥]، على الرغم من أن مكة كانت تحتل مكانة تجارية مرموقة، وتتمتع بصلات تجارية واسعة مع الشمال والجنوب (الشام واليمن)، فضلا عن صلاتها الأخرى مع الحبشة والعراق، والهند عبر اليمن والمحيط الهندي.

المرحلة الإسلامية الأولى :

وبعد قيام الدولة العربية الإسلامية في(يثرب) المدينة المنورة سنة١ هـ / ٦٢٢ م استمر تداول النقود البيزنطية والساسانية (الدينار والدرهم) [٤٦]، فضلا عن نقود محلية أخرى، وربما ضربت دراهم جديدة على الطراز الساساني، ولكنها ضمت عبارات عربية إسلامية مثل: (بسم الله) ، و(الحمد لله)، و(لا اله إلا الله)، و (محمد رسول الله)، أو كلمات عربية أخرى مثل (بركة)، و (محمد) وقد نقشت هذه الإشارات الإسلامية في هامش وجه المسكوكات[٤٧]، وفي العصر الإسلامي الأول، جرت تعديلات كثيرة على هذه النقود ، إلا أنه لم تصدر عملة عربية إسلامية مستقلة خاصة بالدولة . وكانت أول عملية نقدية مهمة هي التي حققها المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ (٦٣٤ ـ ٦٤٤ م) وكانت تهدف إلى تنسيق وزن العملات الفضية، فبينما كانت العملة الذهبية مستندة على نظام واحد هو وحدة الدينار البيزنطي(نوميزمه Nomisma)، كان العالم الإسلامي يواجه ثلاثة أنظمة من العملة الفضية وهي:

(الدرهم االبغلي) في فارس، و(الدرهم الرومي) بالنسبة للمبادلات مع بيزنطة و(الدرهم الطبري) في آسيا الوسطى، وقد أدى الاهتمام بتكوين مجال كبير موحد للعملة الفضية إلى تحديد وزن الدرهم بمقدار أربعة عشر قيراطا(أو حوالي٣/٩٦ غراما)[٤٨].

وقد جرت محاولة لتعريب النقود سنة ٤٠ هـ /٦٦٠ م في خلافة علي بن أبي طالب (ﷺ) لم يكتب لها النجاح بسبب الظروف السياسية والاقتصادية آنذاك[٤٩]، ولكن بعد أربعين سنة تقريبا استؤنف هذا التجديد بنجاح في زمن الخليفة الأموي الخامس عبد الملك بن مروان، بعد أن حدث خلال هذه الحقبة تبدل في الوضع النقدي خاصة، والوضع الاقتصادي في الدولة العربية الإسلامية عامة، فكانت الظروف مؤاتية لتعريب الدواوين والنقود وضربت أول عملة عربية إسلامية في سنة ٧٧هـ/ ٦٩٦ م .

وقد سبقت عملية التعريب هذه خطوات ومراحل تمهيدية، يمكن إيجازها بما يلي:

ـ بعد تولي عبد الملك بن مروان الخلافة سنة ٦٥ هـ /٦٨٤ م قام بإجراء تعديل على نقوش العملة البيزنطية النحاسية المضروبة بمدينة الإسكندرية، وكانت عبارة عن نقود مستديرة تحمل الحرفين (IB)[٥٠] ووسطهما الصليب، فقام عبد الملك بتغيير موضع الحرفين، فأصبحا (BI)، ولم يقصد بذلك تبديل قيمة القطعة النقدية، وإنما استهدف تغيير النقش فقط.[٥١]

ـ في الخطوة الثانية قام عبد الملك بحذف الجزء الأعلى من الصليب، فأصبح مثل حرف T ، كما حول الشارات المسيحية إلى كرات تحيطها عبارات التوحيد بالخط الكوفي، مع الإبقاء على صور هرقل وولديه.

ـ في الخطوة الثالثة، وضع عبارة التوحيد (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) على جميع النقود المتداولة، وحذف صورة هرقل وولديه.

ـ الخطوة الرابعة كانت سنة٧٦ هـ /٦٩٥ م حيث أصبح وجه الدينار يحمل صورة عبد الملك، وأصبح ظهره منقوشا بكتابة تدور في حافة الدينار نصها[بسم الله ضرب هذا الدينار سنة ست

وسبعين] ، وأصبح الصليب مجرد عمود قائم على أربع مدرجات، وقد سبب ظهور صورة عبد الملك على العملة احتجاج بعض الصحابة والفقهاء الذين أنكروا على عبد الملك تشبهه بالأباطرة، فضلا عن إنكارهم إظهار الصور التي ينهى عنها الشرع[٥٢]. من جانب آخر، أغاظ هذا الإجراء البيزنطيين، وعدوه تجاوزا وثورة على النظام النقدي العالمي.[٥٣]

ـ وفي المرحلة الأخيرة من مراحل تعريب النقود سنة ٧٧ هـ/٦٩٦ م أصبح الدينار الإسلامي ذو نقش عربي إسلامي خالص ، وليس فيه شئ من التأثيرات البيزنطية، ولا يحمل صورة لا للخليفة ولا لغيره.

تطـور وظائف النقـود:

مع تطور النقود تطورت معها وظيفتها ، كوسيلة للمبادلات وللتعامل بين الناس لتحقيق وإشباع حاجاتهم ، وقد حدد علماء الاقتصاد وظائف النقود عبر العصور بما يلي :

* النقود وسيط للمبادلة : نتيجة لعدم وجود ترابط حتمي بين السلع ظهرت هذه الوظيفة كحل، وكانت من أهم وأبرزها وظائف النقود، حيث استطاعت التغلب على عيوب المقايضة وعجزها عن أداء الغرض المراد منها.

* النقود أداة لاختزان القيم : ما أن تتمتع النقود بقبول عام كوسيط للمبادلة حتى تستخدم في الوقت نفسه أداة لاختزان القيم ، وذلك لصغر حجمها وعدم قابليتها للتلف بالاختزان[٥٤].

* النقود وحدة للحساب أو مقياس للقيم :إن المتمعن في هذه الوظيفة يلاحظ أن أهميتها تزداد ليس كلما كان هذا المقياس القيمي مقبولا من جميع أفراد المجتمع فحسب، وإنما كلما كان هذا المقياس نفسه ثابتا في قيمته[٥٥] .

* النقود مقياس للمدفوعات الآجلة :حيث أنه عن طريق معرفة ما تم صرفه ، تكون معرفة ما يقع استحقاق دفعه مستقبلا.[٥٦]

تزييف النقود كيف ومتى بدأ ؟

يرتبط تحقيق النقود لوظائفها في أعلاه بدرجة كفاءتها في النظام النقدي ، وهذا لا يتم إلا بأن تكون النقود موافية لشروط محددة من وزن وحجم ونقاء وغيرها، وعلى هذه الاعتبارات صنفت النقود في الأدب التاريخي والتشريعي الإسلامي إلى نقود جيدة ونقود رديئة ، فالجيدة هي المضروبة على عيار صحيح نقي سواء من الفضة ام الذهب ، أما النقود الرديئة (أي المزورة) فهي أنواع عدة :

* الزيوف : وهو النقد الذي تكون نسبة المعدن الرخيص فيه عالية ، وتقل قيمته الذاتية في المعاملات التجارية، ولا تقبله الدولة في معاملاتها أو جبايتها[٥٧]، وكانت الدولة تعاقب بشدة على الزيوف ، وهذا يدل على أن الذين ضربوا مثل هذا النوع من النقود كانوا في عداد المخربين .

* الدراهم المشوهة : تصنع من النحاس وتغطى بطبقة من الفضة، ولا تعد من جملة الدراهم لأن مقدار النحاس فيها أكبر من الفضة.

*الدنانير المثلومة : وهي دنانير(ذهبية) مكسرة،وهذه النقود عبارة عن دينار تقطع منه قطعة صغيرة، وقد نهى الإسلام عن مثل هذا العمل لما فيه من كسر لسكة المسلمين المتداولة بينهم.

* الممسوحة: وتعد هذه النقود رديئة لأن قيمتها الذاتية تقل عن قيمة النقود الجيدة[٥٨].

وقد يكون من غريب المصادفة تاريخيا، أن يحدث أول تزوير للنقود المسكوكة في المكان ذاته الذي استعملها أول مرة في التاريخ. لقد أشرنا سابقا إلى الرواية التي تتحدث عن أنهار {ليديا } التي تحمل مزيجا من الذهب والفضة في مياهها، فصنع منه الليديون مسكوكاتهم النقدية بيسر وسهولة ، ونتواصل مع تلك الرواية لنقرأ فيها:

أنه بمرور الزمن قل هذا المعدن (المزيج) ونقص في النهر، يقابله في الوقت نفسه زيادة الطلب على سك العملة ،الأمر الذي أدى إلى تقليل نسبة الذهب فيها، على الرغم من احتفاظها بقيمتها النقدية الأولى.

إن هذا التزييف الأول من نوعه في التاريخ ، لم يكن بالإمكان تغطيته، والتكتم عليه لمدة طويلة من الزمن ،إذ سرعان ما انكشف أمره ، وامتنع أصحاب الحرف والباعة من التعامل بهذا النقد ، وطالبوا برفع الأسعار. لقد أدى هذا الحدث إلى إرباك كبير وتخلخل خطير في تجارة ليديا، وأصبحت المسكوكات الليدية رديئة السمعة ضعيفة الفعل في التجارة الخارجية، حتى أن البضائع الليدية كانت تعاد ثانية إلى البلاد. واستمرت الحال على ما هي عليه حتى أواسط القرن السادس ق.م عندما أقدم الملك الليدي (كروسس) على أصلاح النظام النقدي لبلاده وإعادة الثقة والضمان بمسكوكاته ، فسك نوعين من العملة الجديدة : الأولى من الذهب الخالص ، والثانية من الفضة الخالصة، وبهذا أصبحت لعملته مكانة جيدة في الأسواق الخارجية[٥٩].

أما عن أول عملية تزوير للنقود في تاريخ الدولة العربية الإسلامية ، فكانت في العصر الأموي، عندما أقدم والي الأمويين على البصرة (عبيد الله بن زياد ٥٥ ـ٦٤ هـ) على تزوير النقود سنة ٦٤ هـ/٦٨٤ م ، بعد وفاة يزيد بن معاوية مباشرة وانحلال أمر الخلافة وشيوع الفوضى والثورة في الأمصار، فقد ذكر المقريزي[٦٠] : ' إن أول من غش الدراهم وضربها زيوفا **عبيد الله بن زياد** حين فر من البصرة في سنة أربع وستين من الهجرة ' . ويضيف المقريزي : إن هذه الظاهرة فشت في الأمصار عندما هيمن العجم من بني بويه وبني سلجوق على مقاليد الخلافة العباسية .

هوامش البحث

١- جمال الدين أبو الفضل مكرم بن علي بن منظور الخزرجي الأنصاري، لسان العرب، دار المعارف، ج٤ (القاهرة د.ت)، ٢١٠٨ مادة(عمل).

٢- ابن منظور ، ج٣، ٢٠٥١ ، مادة (سكك) .

٣- أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، (بيروت د.ت)، ١٩٧.

٤- عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون ، المقدمة، دار الفكر العربي، (بيروت ١٩٩٧)،١٨٣.

٥- أحمد عبد الرزاق أحمد، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار الفكر العربي،(القاهرة١٩٩٠)، ٥٦.

٦- ابن منظور، ج٦ ،٤٥٥١، مادة (نمي).

٧- الموسوعة العربية الميسرة، دار أحياء التراث العربي ج٢ (بيروت ١٩٨٧) ،١٢٣١.

٨- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط،ط٣، ج٢ [د.م ، د.ت] ، ٦٥٢، مادة (عمل)

٩- محمد زكي شافعي، مقدمة في النقود والبنوك، ط٧، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،(بيروت د.ت)، ٢٦.

١٠-شافعي، مقدمة في النقود، ط٧ ، ٢٦.

11- Joswig,H.*Das Geld*.(Leipzig.Jena. Berlin 1968),23

١٢-إبراهيم كبه، : دراسات في تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي، ج١ (بغداد١٩٧٠) ، ١٦٣.

١٣-خلف فارس الطراونة ، ناهض عبد الرزاق دفتر، المسكوكات وقراءة التاريخ،(عمان ١٩٩٩)، ٩ -١١ ،عاطف منصور محمد رمضان، موسوعة النقود في العالم الإسلامي،ج١ دار القاهرة،(القاهرة٢٠٠٤) ،٢٤ .

14- , Das Geld, 23 Joswig

١٥-طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج ١ (بغداد١٩٥٥) ،٤٣٨ .

١٦-Joswig , *Das Geld*,23

١٧-طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات ج١ ، ٤٣٨ .

١٨-Joswig , *Das Geld*,23

١٩-طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات ج١ ، ٤٣٨ .

٢٠-Joswig , *Das Geld*,.25

٢١-Ibid,25

٢٢-Ibid,25

٢٣-أ . جاردنر ،علم الآثار، ترجمة محمد حمزة،و زكي محمد حسن،(القاهرة ١٩٣٦)،١٣٧.

٢٤-طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات ج١، ٤٣٨.

25- Joswig , *Das Geld*,25

26- Ibid. 26

٢٧- ملكزادة بيالي، تاريخ سكة أزقد يمترين أزمنه تادوره ساسانيان ،جلد أول ودوم ، إنتشارات دانكشاه تهران، مهرماه١٣٧٢)، جلد أول ، ٤٩ ـ ٥٠ .

٢٨- أ .جارندر ، علم الآثار ،١٣٦ .

٢٩- محمد أبو الفرج العش ، النقود العربية الإسلامية المحفوظة في متحف قطر الوطني ، ج١ (الدوحة ١٩٨٤) ، ١٥ .

٣٠- عزت زكي حامد قادوس، العملات اليونانية والهلنستية ، (الإسكندرية ١٩٩٩) ، ٧٥ ـ٧٦ .

٣١- محمد أبو الفرج ، النقود العربية ،١٥ .
٣٢- منذر البكر،النميات الساسانية، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، (البصرة ١٩٧٢)،٦
٣٣- إبراهيم كبه ، دراسات في تاريخ الاقتصاد ،ج١ ، ١٧٤ .
٣٤- سعيد نفيسي، تاريخ تمدن ايران ساساني ، (تهران ١٣٣١)،ج١،٣٣١ .
٣٥- جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة ، ج٦ (بغداد د.ت) ،٤٩٠ .
٣٦- عزت زكي حامد قادوس، العملات اليونانية ،٧٦ .
٣٧- منذر البكر ، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، تاريخ الدول الجنوبية في اليمن، جامعة (البصرة ١٩٨٠)،ص ١٩٢.
٣٨- ي ، هل، الحضارة العربية، ترجمة إبراهيم العدوي ،(القاهرة ١٩٥٦)٨.
٣٩- منذر البكر، دراسات في تاريخ العرب ١٦٩ ـ١٧١.
٤٠- ينظر : عاطف منصور محمد رمضان، موسوعة النقود ٣٧ ـ٣٩.
٤١- جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة،ج١(بيروت د.ت] ، ١٣٥ .
٤٢- ناهض عبد الرزاق ، المسكوكات، (د.ت، د.م) ٢١.
٤٣- ناهض عبد الرزاق، المسكوكات ٢٢.
٤٤- الأب أنستاس ماري الكرملي،النقود العربية وعلم النميات، (القاهرة ١٩٣٩)،٨٨
٤٥- عاطف منصور رمضان،موسوعة النقود ص٤٤.
٤٦- ورد ذكر تلك النقود في القرآن الكريم في قوله تعالى (....ومنهم من تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما)(سورة آل عمران آية٧٥) ،كما ورد ذكر الدرهم في قوله تعالى: (**وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين**) سورة يوسف الآية٢٠

ووردت كذلك كلمة الورق وكانت تعني آنذاك الدراهم الفضية المسكوكة، قال تعالى (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما...) سورة الكهف الآية١٩.

٤٧- ناصر النقشبندي، الدرهم الإسلامي، (بغداد ١٩٦٩)،١١.

٤٨- موريس لومبارد،الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، (دمشق د.ت)١٥١-١٥٢.

٤٩- موريس لومبارد،الجغرافيا التاريخية، ١٥١ .

٥٠- ويقصد بهما في اليونانية الرقم ١٢، إشارة إلى قيمة القطعة النقدية وهي ١٢ نميا Nummia، وتمثل أصغر أجزاء النقود عندهم، ناهض عبد الرزاق ، المسكوكات، ٥٠ .

٥١- ناهض عبد الرزاق ، المسكوكات، ٥٣.

٥٢- ابن خلدون، المقدمة ،٤٦٤.

٥٣- عبد الرحمن فهمي: النقود العربية، ماضيها وحاضرها،المكتبة الثقافية، (القاهرة١٩٦٥) ،٤٢.

٥٤- محمد زكي شافعي، :مقدمة في النقود، ١٩ ـ ٢٠ .

٥٥- صبحي تادرس قريصة: اقتصاديات النقود والبنوك، كلية التجارة،(الإسكندرية ١٩٩٠)، ١٢ .

٥٦- صبحي تادرس قريصة: اقتصاديات النقود، ١٥

٥٧- توفيق سلطان اليوزبكي: دراسات في النظم العربية الإسلامية،جامعة الموصل، (الموصل ١٩٨٨)،٦٠ .

٥٨- الماوردي : الأحكام السلطانية، ١٩٨ .

٥٩- Joswig, *Das Geld*,26

٦٠- تقي الدين أحمد بن عبد القادر الشافعي المقريزي،: النقود الإسلامية، مطبعة الحوائب، (القسطنطينية ١٢٩٨ هـ)، ١١ .

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر العربية:

ـ القرآن الكريم.

١. ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد الحضرمي [ت ٨٠٨ هـ /١٤٠٥ م]: المقدمة، دار الفكر العربي، بيروت ١٩٩٧.

٢. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري [ت ٤٥٠ هـ /١٠٥٨ م] الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت(د.ت)

٣. المقريزي، تقي الدين أحمد بن عبد القادر الشافعي: النقود الإسلامية، مطبعة الحوائب، القسطنطينية ١٢٩٨ هـ ص ١١ .

ثانيا : المراجع العربية والمعربة:

٤. أحمد، أحمد عبد الرزاق: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٠ .

٥. باقر، طه : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١ ، بغداد١٩٥٥ .

٦. البكر، منذر : دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، تاريخ الدول الجنوبية في اليمن، جامعة البصرة ١٩٨٠.

٧. ـــــــ : النميات الساسانية، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد ٧ البصرة ١٩٧٢.
٨. جاردنر ،أ : علم الآثار، ترجمة محمد حمزة،و زكي محمد حسن،القاهرة ١٩٣٦.
٩. رمضان، عاطف منصور محمد، موسوعة النقود في العالم الإسلامي،ج١ دار القاهرة،القاهرة٢٠٠٤ .
١٠. زيدان، جرجي: تاريخ التمدن الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت [د.ت]
١١. شافعي، محمد زكي :مقدمة في النقود والبنوك، ط٧ دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت [د.ت] .
١٢. الطراونه، خلف فارس، ناهض عبد الرزاق دفتر، المسكوكات وقراءة التاريخ،عمان ١٩٩٩.
١٣. عبد الرزاق، ناهض: المسكوكات، [د.ت] [د.م].
١٤. العش، محمد أبو الفرج : النقود العربية الإسلامية المحفوظة في متحف قطر الوطني ،ج١ الدوحة ١٩٨٤.
١٥. علي، جواد : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة ، بغداد [د.ت].
١٦. فهمي، عبد الرحمن : النقود العربية، ماضيها وحاضرها،المكتبة الثقافية، القاهرة، ١٩٦٥ .

١٧. قادوس،عزت زكي حامد، العملات اليونانية والهلنستية ،الإسكندرية ١٩٩٩ .

١٨. قريصه، صبحي تادرس: اقتصاديات النقود والبنوك، كلية التجارة، الإسكندرية ١٩٩٠.

١٩. كبه، إبراهيم: دراسات في تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي، بغداد١٩٧٠ .

٢٠. الكرملي،الأب أنستاس ماري، النقود العربية وعلم النميات، القاهرة ١٩٣٩.

٢١. لومبارد، موريس:الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق [د.ت] .

٢٢. النقشبندي، ناصر: الدرهم الإسلامي، بغداد ١٩٦٩.

٢٣. هل، ي : الحضارة العربية، ترجمة إبراهيم العدوي ، القاهرة ١٩٥٦.

٢٤. اليوزبكي، توفيق سلطان: دراسات في النظم العربية الإسلامية، جامعة الموصل ١٩٨٨ .

ثالثا: الموسوعات والمعاجم

٢٥. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط٣ [د.م] [د.ت].

٢٦. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل مكرم بن علي الخزرجي الأنصاري[ت ٧١١ هـ/١٣٢٢م]: لسان العرب، دار المعارف ، القاهرة (د.ت).

٢٧. الموسوعة العربية الميسرة، دار أحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٧.

رابعا: المصادر الأجنبية

28. Joswig ,H. Das Geld. (Leipzig. Jena. Berlin.1968)

٢٩. ملكزادة بيالي، تاريخ سكة أزقد يمترين أزمنه تادوره ساسانيان ،جلد أول ودوم ، إنتشارات دانكشاه تهران، مهرماه١٣٧٢.

٣٠. نفيسي، سعيد: تاريخ تمدن ايران ساساني ، تهران ١٣٣١ ،٣٣١/١ .